# مُسْتَدْرك الأخفَش في القافية*

أ. دوّاح أحمد

جامعة تلمسان – الجزائر

اهتدى العربُ إلى القافية منذُ عهدٍ بعيدٍ لا نملكُ من الدَّلائل ما يكشفُ عن حُدوده، وتطاولَ بهم الزَّمنُ، فوضعُوا لها ما أَحبُّوا من قواعدَ لسنا ندري أيضا متى وضعوها؟ ومتى اتَّفقُوا عليها؟ ولكنْ ما بين أيدينا من شعرٍ جاهليٍّ تامٍّ في نظامه ، كاملٍ في قواعده، يُنبئُ عن هذا الزَّمنِ البعيدِ، والتَّطوُّرِ الدَّائبِ.

وعلى الرُّغم من أسفنا لضياع هذه الأطوار الأولى، بقِيَ لنا من أخبارِ الجاهليةِ المتأخِّرةِ ما ينمُّ عن تنبُّهِ العرب، وبخاصّةٍ مَنْ تحَضَّر منهم، إلى بعض الظّواهر المتّصلة بالقوافي، وما قد يُصيب الأوضاعَ التي تعارفوا عليها بالخلل، وإنْ كان أحدٌ منهم لم يُعلن عن هذه الأوضاع.

استعمل العربُ كلمةَ القافيةِ في المجال الشِّعريِّ منذُ أمدٍ بعيدٍ، ونعثرُ عليها في شعر عُبَيْدِ بنِ الأبرصِ الأسديِّ (تـ25ق هـ) حيثُ يقولُ على (الوافر):

سَلِ الشُّعَرَاءَ: هَلْ سَبَحُوا كَسَبْحِي ... بُحُورَ الشِّعْرِ أَوْ غَاصُوا مَغَاصِي

لِسَـانِي بِالنَّثِيـرِ، وَبِالْقَـوَافِـي ... وَبِالْأَسْجَاعِ أَمْهَرُ فِي الْغِيَـاصِ[1]

ونجدُ كلمةَ القافية بعدَ ذلك شائعةً على ألسنة الشُّعراء المخضرمين كالأعشى والخنساء وكعب بن زهير،وسُوَيْد بن كُراع وحُسين بن الحمام،وابن ميّادة والأعشى وطرفة بن العبد وعبد بني الحسحاس.

إنَّ مصطلحَ القافيةِ مصطلحٌ قديمٌ، يرتبطُ بالشِّعر، منذُ أنْ عرفتهُ العربيةُ، ذلك بأنَّ القافية هي أوضحُ ما في البيت الشعريِّ، وعندها ينتهي، وفيه تتركَّزُ العنايةُ.

وقد اختلف اللُّغويُّون الأوائلُ حول تحديدها، من حيثُ بدايتُها ونهايتُها على آراء عِدَّة.

فقد أقامَ الخليلُ(ت175هـ) رأيَهُ على أساس ريَّاضيٍّ صوتيٍّ وصاغه في عبارةٍ هي حمَّالةُ أوجُه، إذْ بدأ بالنَّظر إلى آخر البيت،ثُمَّ نكص عائدا به إلى مُبتدئه.

قال أبو الفتح عثمانُ بنُ جنِّي (ت392هـ):"القافيةُ عند الخليل آخرُ البيت إلى أوَّل ساكن يَليهِ مع المتحرّك الذي قبل السَّاكن .

كقوله: عَفَت الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا[2]

فالقافيةُ عندهُ من القاف إلى آخر البيت.[3]

وينقلُ القاضي أبو يَعلى التَّنوخيّ (كان ما يزال حيًّا عام 487هـ) في كتابه الشّهير، رأياً آخرَ للخليل، يقول:" أمّا الخليلُ فَلَهُ في القافية قوْلان: أحدُهما أنَّها السَّاكنان الآخران من البيت وما بينهما مع حركة ما قبلَ السّاكن الأوّل منهما، فعلى هذا القول تكونُ القافيةُ في قول الشّاعر من (الطّويل):

إذَا مَا أَتَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالا لِزَلَّتِهِ عُذْرًا[4]

تكونُ القافيةُ حركةَ العين والذّال والرّاء والألف،

وفي قولٍ آخرَ من (الطّويل):

وَلَيْسَ الْغِنَى وَالْفَقْرُ مِنْ شِيمَةِ الْفَتَى وَلَكِنْ حُظُوظٌ قُسِّمَتْ وَجُدُودُ

حركة الدّال الأولى والواو والدّال والواو.

والقافيةُ على قول الخليل الآخر ما بين السّاكنين الأخيرين من البيت مع السّاكن الأخير فقط[5]

وأوّلُ ما خالف فيه الأخفشُ الأوسطُ(تـ215هـ) الخليلَ تعريف القافية، إذ يُحدِّدُها تحديداً مُوجَزاً فيقولُ :" اعلَمْ أنَّ القافيةَ آخرُ كلمةٍ في البيت"[6] ونحنُ نأخذُ بقولِ الخليلِ لأنَّهُ أقدمُ، ولأنَّ غالبيةَ العَروضيّين الأوائلَ قد تابعُوه في ذلك، ثُمَّ لرفض الأخفش الرَّأيَ القائلَ بأنَّ القافيةَ تعني الرَّويَّ.

ويتَّضح لنَا فسادُ مذهب الأخفش لأنَّ أهل العَروض يُجمعون على أنَّ في القوافي قافيةً يُقال لها المتكاوِس. والمتكاوِسُ ": هو كلُّ قافية توالتْ فيها أربعُ مُتحرِّكات وهو جزءٌ واحدٌ وهو فَعَلَتْنْ يقع في ضروب الرَّجز وليس للمُتَكاوس غيرُه "[7].

كقول العَجَّاج (تـ97هـ) من (الرّجَز) :

قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الإِلَهُ فَجَبَرْ

فقولهُ (لاَهُ فَجَبَرْ) هو القافيةُ مع السَّاكن الذي قبل الهاء، وهو الألف، فهذه كلمةٌ وبعضُ أخرى، فيترتَّبُ على قول الأخفش تركُ قافية المتكاوس، وهي موجودةٌ بالإجـــماع، ولا تكونُ من كلمة أبـــداً.

يستندُ الأخفشُ في رفضه للرَّأي القائل بأنَّ القافية هي حرف الرَّويِّ إلى حُجَجٍ نذكرُ منها:

"وفي قولهم قافيةٌ دليلٌ على أنَّها ليستْ بالحرف، لأنَّ القافيةَ مُؤنَّثةٌ، والحرفَ مذكَّرٌ، وإنْ كانوا قد يُؤنِّثون المذكَّر، ولكن هذا قد سُمع من العرب، وليست تُؤخذُ الأسماءُ بالقِيَاس"[8].

فالأخفشُ هنا يُناقشُ الذين جعلـوا القافيةَ حرفَ الرَّويّ لأنّهُ لازمٌ؛ فاعترض على هذا التّعريف، وحُجّتُهُ في ذلك أنّ الأسماءَ لا تُؤخذُ بالقِياس.

ويُضيف قائـلا:

" العربُ لا تعرفُ الحروفَ، أخبرني مَنْ أثِقُ به أنّهم قالوا لعربيٍّ فصيح:أنشِدنا قصيدةً على الدّال، فقال : وما الدّالُ يا أبي؟ وسألتُ العربَ وغيرها عن الدّال وغيرها من الحروف فإذا هم لا يعرفون الحروف"[9]

ثُمَّ يستطردُ مُوضّحا رأيه ومُصرًّا على فكرته:

"مَنْ زعم أنّ حرفَ الرَّويِّ هو القافية، لأنّهُ لازمٌ له، قلتُ له : إنّ الأسماءَ لا تُؤخذُ بالقياس، إنّما ننظرُ ما تُسمّي العربُ فنُسمّي به، ونقولُ له: صحّةُ البيت لازمةٌ، فهلاّ تجعلها قافيةً، وتأليفُه لازمٌ لهُ وبناؤُه، فهلاّ تجعلُ كلّ واحد من ذا قافيةً ؟ [10]

ثُمَّ يُمعن في استحضار حُجّة أُخرى فيقول:

" ولو كانتِ القوافي هي الحروف كان قولُ الشّاعر: من (الرَّجز):

يَا دَارَ سَلْمَى، يَا اسْلَمِي ثُمَّ اسْلَمِي [11]

مع قوله: فَخِنْدِفُ هَامَةُ الْعَالَمِ

غيرَ مَعيب، لأنّ القافيتين مُتّفقتان إذ كانتا ميمَيْن، ولجاز قال مع قيل، لأنّك تقولُ: إذا اتّفقتِ القوافي صحّ البناءُ."[12]

ووجهُ العيب هنا أنّ هذا الشّطر الأخير من أُرجوزة العجّاج مُؤَسَّسٌ. فالألفُ من كلمة الْعَالَمِ تأسيسٌ، واللاّمُ دخيلٌ، والميمُ رويٌّ، مع أنّ قوافي الأرجوزة جميعا مجرّدةٌ غيرُ مُؤسَّسة، فإذا جاء بيتٌ مؤسَّسٌ في قصيدة قوافيها غيرُ مؤسَّسة فذلك عيبٌ يُسمُّونه السِّناد.

و يمضي الأخفشُ في حشْر الحُجّة تلوَ الحُجّة ليُثبتَ صوابَ موقفه، وَوَجاهةَ رأيه فَيقول: "وإذا سمعتِ العربُ مثلَ هذا قالوا: اختلفتِ القوافي. فقولُهم: اختلفتِ القوافي، يدلُّ على أنّهم لا يعنون الحروف"[13]

و يُتبِعُ هذه الحجَّة بأُخرى قائلا: إذا بُنِيَ البيتُ كلُّه إلاّ الكلمةَ التي هي آخرُه قيل: بقيتِ القافيةُ، ولو قال لك شاعر: اِجمعْ لي قوافيَ، لم تجمعْ له أنصافا، وإنّما تجمعُ لهُ كلماتٍ ، نحو: غُلام وسَلاَم"[14]

و لعلّ ما يقولهُ الأخفشُ هنا هو السّببُ في أخذه بتعريف القافية على أنّها الكلمةُ الأخيرةُ إطلاقا.

إنّ ما ردّدهُ الأخفشُ فيما اقتبسناهُ عنهُ من إطلاق العرب الكلمة لتعني معنىً فنيّا، دلالةٌ واضحةٌ على أنّ القصدَ هو المعنى الاصطلاحي الفنيّ وليس العلم، إذِ العربُ لم تعرفْ علم القوافي ولكنّها عرفتِ القوافيَ.

كما أنّ حُجَج الأخفش واضحةُ القصدِ في أنّهُ أرادَ المعنىَ الاصطلاحيَّ وليس العلمَ، خاصّةً وأنّ الأخفشَ جعلها الكلمةَ الأخيرةَ في البيت ؛فكيف نقولُ إذاً:إنّ المرادَ هو علمُ القوافي وليس القوافي نفسها.

فالخليلُ هو أوّل من جعل القافيةَ علما، و عرّفها اعتمادا على مفهوم الحركة والسّكون وعلى أساس لوازمها من الحروف والحركات؛ وعلى عدد صيغها ودلالتها الصّوتية، وحدّد المصطلحاتِ، وربط القافيةَ بالعَروض وميَّز في القافية بين السَّاكن الصَّحيح واللّيّن، على خلاف العَروض.

"ونستطيعُ أن نرى في مخالفة الأخفش الخليلَ في تعريفه القافية على ما سبق، عودةً بالتّعريف من الدّقّة العلميّة إلى العموميّة، وسبب ذلك تغليب السّماع عن العرب على الجهد العلميّ، حتّى ولو كان مبنيّا على ذلك السّماع وغير مخالف له"[15]

"تُجمع المصادر كلُّها، سواءٌ التي ترجمت للخليل، أو التي نقلت علمه إلينا عبر القرون على أنّه هو الواضعُ والمستنبطُ لعلم العَروض: نظاما وأنساقا ووحداتٍ ومُصطلحات "[16]

بنَى الخليلُ هذا النّظامَ كلّه، وميّز بين مكوِّناته، وفرَّع الفُروع على ضوء تفرُّعها في واقع الشّعر، وأعطى لكلّ واحد من ذلك اسما خاصّا به فقدّم لنا علما مُتكاملا قام على استقراء حالة الشّعر، ووصفه، وقد كان رائده من وراء كل ذلك التّقيّد بما سُمع من هذا الشّعر، واحترام الشّائع من ظواهره، وعدم إهمال النّادر منها، بشرط سماعه، وعدم تحكيم ذوقه في إثبات ما لاحظ وجوده.

"وضع الخليلُ بنُ أحمدَ لأوزان القصيد وقِصار الأرجاز ألقابا لم تكنِ العربُ تتعارفُ تلكَ الأعاريض بتلك الألقاب، وتلك الأوزان بتلك الأسماء، كما ذكر الطّويل، والبسيط، والمديد، والوافر، و الكامل، و أشباه ذلك، كما ذكر الأوتاد و الأسباب، و الخرْم والزِّحاف." [17]

وأضاف الأخفشُ فيما أضاف بعضَ مصطلحاتِ القافية التي لم يأت الخليل على ذكرها في نظامه العَروضيّ، ومن هذه المصطلحات: التّعدّي والمتعدّي، والغُلـــوّ والغالـــي والإشبـــاع.

" وزاد الأخفشُ (الغالي) (والمتعدّي) في الحروف، و(الغلـــوّ) و(التّعدّي) في الحركات"[18]

و ممّا لم يذكرِ الخليلُ التّعدّي والمتعدّي، والغلوّ والغالي. أمّا التّعدّي فحركةُ الهاء التي للمُضْمَر المذكّر السّاكنة في الشّعر نحو: خَبَلُهْ[19] فالهاءُ مُتحرّكةٌ إذا واصلتَ كلامك. والمتعدّي الواو التي تلحقُها من بعدها نحو: تنفرُ منهُ الخيلُ ما لم تغزله.

و كذلك الياء، فحركةُ الهاء التّعدّي والياء المتعدّي[20].

وإنّما سُمِّيت هاتان الحركتان تعدّيا، والياء والواو بعدهما مُتعدّيا لأنّهُ تجاوزٌ للحدّ وخروجٌ عن الواجب، ولا يُعتدُّ به في الوزن لأنّ الوزن قد تناهى قبلهُ، جعلوا ذلك في آخر البيت بمنزلة الخزم في أوّله.

و تحريكُ هاء الوصل السّاكنة يُؤدّي إلى كسر الوزن، فالضّرب (مُسْتَفْعِلُنْ) "لَمْ نَغْزِلْهْ" ولو حُرّكت الهاءُ في "نَغْزِلهُ" لصار (مُسْتَفْعِلَتُنْ) وهذا يُؤدّي إلى كسرٍ واضحٍ في الوزن.

والغلـــوُّ حركةُ قافِ: وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ خَاوِي الْمُخْتَرَقَنْ[21].

فالغلوُّ تجاوزٌ لقدر ما يجب، وهو عند العَروضيّين أفحشُ من التّعدّي، ولا يُعتدُّ به في الوزن،لأنّ الوزن قد تناهى قبله.

و الأصلُ (الْمُخْتَرَقْ)و(الخَفَقْ) أُلحقتْ بهما نونٌ، فخرج بذلك على الوزن، فصار الضّرب (مُسْتَفْعِلَتُنْ) وهذه التّفعيلةُ، لا يُعتدُّ بها في ضرب الرّجز، وسُمِّيَ هذا العيبُ غُلُوًّا لأنّ الغُلوَّ هو الزّيادة على الوزن.

"والنُّون هي الغالي" [22] والغالي هو الحرف أو التّنوين اللذان يحدثان عن حركة الغُلوّ، وذلك يكون في الرّويّ المقيّد الزّائد على الوزن، وهو غيرُ مُحتسب في التّقطيع.

"و أنكر الزّجّاج والسّيرافي ثبوت هذه النون البتّة، لأنّه يكسر الوزن، وقالا: لعلّ الشّاعر كان يزيد (إن) في آخر بيت، فضعف صوته بالهمزة، فتوهّم السّامع أنّ النّون تنوينٌ، واختار هذا القولَ ابنُ مالك".[23]

يقول ابنُ مالك (تـ761هـ) وهو يتحدّث عن التّنوين الغالي اللاّحق للقوافي المقيّدة زيادة على الوزن:

" والحقّ أنّهما نونان زيدتا في الوقف، كما زيدتْ نونُ "ضَيْفَنٍ" في الوصل والوقف، وليستا من أنواع التّنوين، لشبوهما مع "أل" وفي الحرف والفعل، وفي الخط والوقف، ولحذفهما في الوصل".[24]

وهذه ليستْ من لوازم القافية، لأنّها زيادةٌ أُلحقت بعد تمام الوزن، وقد ذكر الأخفشُ هذه المصطلحات: التّعدّي والمتعدّي والغُلوّ والغالي وحَشَرَها مع أسماء لوازم القافية، وهو يعترفُ في مكان آخر بأنّهـــنّ:

" لا يُحتسب بهنّ في البيت، وإنّما هنّ زوائدُ كزوائد الواو وسائر حروف العطف في أوّل البيت، وفي أوّل النّصف الثّاني، ثمّ لا يُحتسب بهنّ، وإنّما زادهنّ كما يزيدون (ما) و(لا) في الكلام.[25]

إنّ الأخفش قادهُ قياس هذه الزّوائد على زيادة الواو وسائر حروف العطف كما قال، في أوّل البيت إلى إثباتها، فقياس الغالي والغلوّ والمتعدّي والتّعدّي على الخزم هو مصدر استدراكه هذه الحروف والحركات التي يعترف بأنّها ليست من لوازم القافية.

ويذكر الأخفشُ مصطلحَ الإشباع وهو عيبٌ من عيوب القافية ويُعرِّفه بقوله: "و هو حركة الحرف الذي بين التّأسيس والرّويِّ المطلق"[26] : ويستشهد ببيت للأعشى الأكبر ميمون بن قيس من قصيدة له يهجو فيها بني شيْبانَ ويتهدّدُهم من ( الطويـــل):

يَـــزِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ الْمَحَاجِمُ[27]

"كسرة هذه الجيم هي الإشباع، قد لزمتها العربُ في كثير من أشعارها، ولا يحسنُ أن يجتمع فتحٌ مع كسرٍ، ولا مع كسرٍ ضمٌّ، لأنّ ذلك لم يُقل إلا قليلا. [28]

و ضرب الأخفشُ مثلا لحركة الدّخيل وهي الكسرة في جيم (المْحَاجِمُ)، وحركة الدخيل أيّ حركة وسنضرب مثلا للضّمة مع الكسرة، كقول مجنون بني عامر (تـ68هـ) من (الطّويل):

فَلَوْ كُنْتِ إِذْ أَزْمَعْتِ هَجْرِي تَرَكْتِنِي جَمِيعُ الْقُوَى وَالْعَقْلُ مِنِّي وَافِرُ
وَ لَكِنَّ أَيَّامِي بِحَقْلِ عُنَيْزَةٍ وَ بِالرَّضْمِ أَيَّامٌ جَنَاهَا التَّحَاوُرُ[29]

فحركةُ الدّخيل في البيت الأوّل هو الفاء كسرة، وحركته في البيت الثّاني وهو الواو ضمّة.

و أمّا الفتحة مع الضّمّة فكقول علي بنِ حَبَلَةَ العكوك(تـ213هـ) يمدح الحسَنَ بنَ سَهْلٍ من(الطّويل):

أَعْطَيْتَنِي يَاوَلِيَّ الحَقِّ مُبْتَدِئًا عَطِيَّةً كَافَأْتَ مَدْحِي وَلَمْ تَرَنِي
مَاشِمْتُ بَرْقَكَ حَتَّى نِلْتَ رَيِّقَهُ كَأَنَّمَا كُنْتَ بِالجَدْوَى تُبَادِرُنِي[30]

فحركةُ الدّخيل في البيت الأوّل هو الرّاء فتحة، وأمّا حركته في البيت الثّاني فهو الرّاء ضمّة.

و أمّا الكسرُ مع الضّمّ فكقول الشّاعر من ( الطّويل):

وَكُنَّا كَغُصْنَيْ بَانَةٍ لَيْسَ وَاحِدٌ يَزُولُ عَلَى الحَالَاتِ عَنْ أَيِّ وَاحِدِ
تَبَدَّلَ بِي خِلًّا فَخَالَلْتُ غَيْرَهُ وَ خَلَّيْتُهُ لَمَّا أَرَادَ تَبَاعُدِي[31]

فحركةُ الحاء في البيت الأوّل كسرةُ (وَاحِدٍ) وحركةُ العين في البيت الثّاني ضمّة (تَبَاعُدِي)

و إذا كان الأخفش لا يَستحسنُ اجتماعَ الفتح مع الكسر، أو الكسر مع الضّمّ بحُجّة أنّ ذلك لم يأت في الشّعر إلاّ قليلا، فإنّ الخليل يذهب إلى إجازة ذلك.

و يذهب ابنُ رشيق القيرواني (تـ456هـ)مذهبا،ولعلّهُ قد انفردَ به حينَ أقرَّ بأنّ الأخفشَ و أباعمر الجِرْمِي (تـ225هـ) ومن تَبِعَ مذهبَهما قد أنكروا على الخليل تسميةَ الرّسّ.

" وقد أنكر الجرمي والأخفش وأصحابُهما على الخليل تسميةَ الرّسّ، وقالوا لا معنى لذكر هذه الفتحة، لأنّ الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، وإنّما احتيجَ إلى ذكر الحذو قبل الرِّدف لأنّ الحذو قد يتغيّر، فيكون مرَّةً فتحةً قبل ألف، ومرَّةً كسرةً قبل ياء، ومرَّةً ضمَّةً قبل واو" [32]

والتّأسيس لا يُتصوَّر قبلها إلاّ فتحةٌ، كقول النّابغةَ الشّيبانيّ(تـ 125 هـ) من(الطويل):

وَ تُعْجِبُنِي اللَّذّاتُ ثُمَّ يَعُوجُنِي ... وَ يسْتُرُنِي عَنْهَا مِنَ اللهِ سَاتِرُ

وَ يَزْجُرُنِي الإِسْلاَمُ وَالشَّيْبُ وَالتُّقَى ... وَ فِي الشَّيْبِ وَالإِسْلاَمِ لِلْمَرْءِ زَاجِرُ[33]

ففتحةُ السّين في البيت الأول (سَاتِرُ) وفتحة الزّاي في البيت الثّاني (زَاجِرُ) هي الرّسّ.

و يذكرُ أبو العلاء المعَرّي (تـ 449 هـ) أنّ الخليلَ قد ذكر الرّسّ وكذلك فعلَ الأخفشُ، وهذا خلافا لا بن رشيق الذي يزعمُ أنّ الأخفش قد أنكر على الخليل الرّسّ.

"وأمّا الحركاتُ فمنها الرّسّ وهي فتحةُ ما قبلَ التّأسيس، وقد ذكرها الخليلُ وابنُ مَسْعَدَةَ."[34]

و جعل القاضي التّنوخي أنّ الجرمي قد أنكر الرّسّ فيما أنكر على الخليل : "وكان أبو عمر الجرمي لا يعتدُّ بهذه الحركة في اللّوازم، لأنّ ما قبل الألف لا بُدَّ أن يكونَ مفتوحاً."[35]

و الأمرُ على ما ذكرَ، إلاّ أنّهُ يلزمُهُ في الدّخيل ألاّ يعتدَّ بالحركة لأنّهُ لا يكونُ إلاّ مُتحرّكاً بإحدى الحركات الثّلاث.

و لا يُجيزُ الأخفشُ في التّوجيه أن يجتمعَ الفتحُ مع غيره، ويذهبُ في ذلك مذهبَ الخليلِ الذي يقولُ:" تجوزُ الضّمّةُ مع الكسرة، ولا تجوزُ الفتحةُ مع غيرها. فإنْ كان مع الفتحة ضمّةٌ أو كسرةٌ فهو سِنـــاد". والجيّدُ قول طَرَفة بن العبد (تـــ564م) يصفُ أحوالَه وتنقُّله في البلاد ولهوه من (الرَّمل):

كَيْفَ أَرْجُو حُبَّهَا مِـــنْ بَعْدمَـــا ... عَلِـــقَ الْقَلْبُ بِنُصْبٍ مُسْتَسِـــرْ

أَرَّقَ الْعَيْنَ خَيَـــــالٌ لَـــمْ يَقِـــرّ ... طَافَ وَالرَّكْبُ بِصَحْـــرَاءِ يُسُرْ[36]

و أيضاً لا يجيزُ الخليلُ التّوجيه حينما يختلفُ الفتحُ أو الكسرُ أو الضّمّ كما ذكر الأخفش ويرى أنّهُ أجدرُ ألاّ يُجاز. ويرى أنّ :" التّوجيه قد جمعتهُ العربُ وأكثرتْ من جمعه وهذا لم يُقل إلاّ شاذّا وهذا أجدرُ ألاّ يُجاز"[37].

و التّوجيه: حركة الحرف الذي قبل الرَّويّ المقيَّد، وكان بعضهم يُسمّيه الإجازة، وقد ذهب قومٌ من الشّعراء مذهبا استعملوا فيه الفتح والضّمّ والكسر في قصيدة واحدة منهم رُؤبةُ بنُ العجّاج (تـــ145هـــ)وذلك في قوله من(الرَّجز):

وَ قَاتِـــمِ الْأَعْمَـــاقِ خَـــاوِي الْـــمُخْتَـــرَقْ،

ثُـــمَّ قال: مَضْبُـــــورَةٌ قَـــرْوَلُ هِرْجَابٌ فُنُقْ،

ثُـــمَّ قال: أَلْفَ شَتَّ لَيْسَ، بِالرَّاعِي، الحَمِقْ[38].

و قد جعل المعرّي الأخفشَ مُجيزا لاجتماع الفتح والضّمّ والكسر في التّوجيه كما نصّ على أنّ ذلك ليس، بسناد عند الأخفش ": وإذا اختلفتْ هذه الحركةُ فهو عيبٌ يُنسبُ إلى السِّناد عند الخليل وليس بعيبٍ عندَ الأخفشِ"[39].

و يُعَضِّد الخطيبُ التَّبريزيُّ(تـ502هـ) قولَ المعرّي، السّابق، ويُصرِّح بأنّ سناد التَّوجيه ليس بسناد عند الأخفش، لأنّهُ اطّردَ في أشعار العرب وكثُر كثرةً فاحشةً:" وكان سعيدُ بنُ مسعدةَ لا يراهُ سِنادا لكثرته في أشعار العرب".[40]

وَلامْرِئِ الْقَيْسِ، نحو هذا في قصيدةٍ يصفُ فرسَه وخروجَه إلى الصَّيد من (المتقارب):

فَـــــــلاَ وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِـــرِيِّ ... لاَ يَـــــــدَّعِـــي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِـــرْ

ثمّ قال: إِذَا رَكِبُوا الخَيْلَ وَاسْتَلْأَمُوا ... تحرقَت الأَرْضُ واليـــومُ قُـــرْ

ثمّ قال: وَقَدْ رَابَنِي قَوْلُهَا : يَاهَنَاهُ ... وَيْحَـــكَ أَلحَقْتَ شَرًّا بِشَرْ[41]

و يُلاحظُ هنا في هذه الأبيات الثّلاثة أنّ امرأ القيس نوّع بين الكسر في البيت الأوّل (أَفِـــرْ) حيث كسر الفاء ،وبين الضّمّ في البيت الثاني (قُـــرْ) حيث ضمَّ القاف، وبين الفتح في البيت الثّالث (بَشَرْ) حيث فتحَ الشِّيـــن.

ولِطَرَفَةَ كذلك مثلُ هذا، حيثُ جمع بين الفتح والضّمّ في قصيدته التي قالها في يوم قَضَّةَ من أيام حرب البَسُوسِ، وهو اليوم المعروف بتحلاق اللِّمَم لّما أمر الحارثُ بنُ عبّاد بني بكرٍ بحلق رؤوسهم ليعرفَ بعضُهم بعضا، وكان هذا اليومُ لبكرٍ على تَغْلِبَ : من (الـــرّمل)

نَـــزَعُ الجَاهِـــلَ في مَجْلِسِنَا ... فَتَرَى الْـــمَجْلِسَ فِينَـــا كَالْحَـــرَمْ

ثمّ قال: وَقَنـــًا جُـــرْدٍ، وَخَيْلٍ ضُمَّرٍ ... شُزَّبٍ، مِنْ طُولِ تَعْلاَكِ اللُّـــجُمْ[42]

ولكـــنَّ أبا عمر الجرمي فيما نقل المرزُباني(تـ384هـ) يقول في سناد التَّوجيه: "وكان الأخفش لا يرى هذا سِنادا، ويقول ، قد كثُر من فُصحاء العرب"[43]

و يُعقّب العَلَميُّ على هذا الرّواية المتناقضة مع ما سبق ذكره عن رأي الأخفش، في سِناد التّوجيه من حيثُ الإجازةُ والمنعُ:

"وإذا صَّحت هذه الرّواية يكون قد أُثر عن الأخفش رأيان متناقضان في سِناد التّوجيه، أوّلهما ما وَرَدَ قبلُ صريحا في كتابه من عدم جَواز الفتح مع غيره، وثانيهما ما نقلهُ الجرميّ. ولعلّ المعرّي والتّبريزيّ فيما سبق أن يكونا اعتمدا على رواية الجِرمي، لا على كتاب الأخفش نفسه، فلفظُــه فيه صريــحٌ ."[44]

فالأخفشُ يجعلُ اجتماعَ الفتحِ مع الضّمِّ والكَسرِ سِنادا، وهو بذلك يخالف الخليل، وحُجّتُه في ذلك نُدرتُه في الشّعر العربيّ.ويذكر المعرّي أنّ ذلك سنادٌ عند الأخفش،وآيةُ ذلك قلّتُهُ،بل ويجعلهُ عيبا من العُيوب التي تَشينُ الشِّعرَ:"وهذا سنادٌ في رأي الأخفش والدّليلُ على أنّهُ عيبٌ قلّتُهُ ."[45]

و إذا كان الأخفش مخالفا للخليل في سناد الإشباع، فإنّه يتابعه في سناد التّوجيه.

فهو إذن يخالفُ المطّردَ في السّماع فيتابعُ الخليل في سِناد التّوجيه، ويتابعُ المطّردَ فيه ليخالف الخليل في سناد الإشباع. وهذا مظهرٌ من مظاهر مخالفته للخليل واستدراكُه عليه.

لقد أجازَ الخليلُ تعاقُبَ الحركات، لأنّ الأصلَ في حركةِ الدّخيلِ عندهُ أنْ تُحَرَّك بأيّةِ حركة، حتّى أنّه أهمل تسميَّتها، وهو الذي سمّى الإشباعَ. أمّا الأخفشُ فموقفُهُ الذي يعكسُهُ كتابُهُ غامضٌ،ولعلّ سبب ذلك ما لحِقَ الكتابَ من تحريفٍ.فَمَرَّةً يتّفقُ مع الخليل ويأتي بقول فيه تناقُضٌ :

" وقال أبو الأسود، فلزم اللاّم في القصيدة من (الطّويل):

حَسِبْــــتَ كِتَابِي إِذْ أَتَاكَ مُعَرِّضًا  لِسَيْبِكَ لَمْ يَذْهَبْ رَجَائِي هُنَالِــكَ

نُعَيْـــــمُ بْنُ مَسْعُودٍ حَقِيقٌ بِمَا أَتَى وَ أَنْتَ بِمَا تَأْتِـــي حَقِيقٌ كَـــذَلِكَا[46]

و قد يُلزمون الكسر قبل هذه الكاف، ولا يُجيزون غيره، وكذلك قاله أكثرُ الشُّعراء. وما أرى اختلاف ذلك إلا سنادا، لأنَّ الشُّعراء لم تَقُلْهُ إلاّ هكذا أو قبلَه تأسيس"[47]

فهو هنا يتّفق مع المبرّد (تـــ286هـــ) أو يكاد، ومرّة أخرى يتّفقُ مع الخليل:" ولا أُبالي الحركة التي بعد التّأسيس أن تختلف، ولا أعُدّهُ عيبا، وهو قليلٌ، وكان الخليلُ يُجيزُهُ "[48]

و في النّسخة التي حقّقها د.عزة حسن نجد قوله هكذا (أو قبله تأسيس) وفي النّسخة التي حققها أحمد راتب النّفّاخ نُلاحظ اختلافا في حرف العطف، حيث يردُ هكذا (إذ قبله تأسيس)، ولعلّ العلميّ نجد عنده التّفسير المقنع لهذه المسألة، حيث يُبرِّر هذا التّناقض بقوله: "ومصدر التّناقض عندي أنَّ كلمتين قد سقطتا من الأصل المخطوط لكتاب الأخفش وهما (في المقيَّد) وأفترض أن أصل قول الأخفش هو ما يلي (ولا أُبالي الحركةَ التي بعد التأسيس "في المقيّد" أن تختلف ولا يُعدُّ هذا الاختلاف عيبا، فهو قليل، وكان الخليل يُجيزه. وبذلك نَسْلَمُ من هذا التّناقض"[49]

لقد حرصَ الأخفشُ، على أن يترك عُيوبا فاحشةً كما تركَ أشياءَ هيِّنةً يسيرةً لم يَعِبْهَا العلماءُ، و لم يتجنَّبْها القدماءُ، ومنها ثباتُه على الكسرة والإشباع، لم يُخلط بها الضّمّة، وذلك مُباحٌ عند جُمهور العلماء، وإنّما الفتحةُ مع الحركتين الأُخْرَيَيْنِ هي التي كانت محلّ خلاف، وقد قال النّابغةُ الذُّبياني (تـــ 602م) يمدح النُّعمانَ و يعتذرُ إليه ويهجُو مُرّةَ بنَ ربيع بنِ قُرَيْع من (الطّويل):

بِمُصْطَحِبَاتٍ مِنْ لَصَافٍ وَثَبْـــرَةٍ يَزُرْنَ إِلاَلاَ، سَيْرُهُنَّ التَّـــــدَافُـــعُ

ثمّ قـــال:

سَمَامًا تُبَارِي الرِّيحَ، خُوصًا عُيُونُهَا لَهُـــنَّ رَذَايَا بِالطَّرِيقِ وَدَائِـــعُ[50]

وقال يَرثـــي النّعمانَ بنَ الحارث بنِ أبي شمر الغَسّاني من (الطّويل):

بَكَى حَارِثُ الجولاَنِ مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ وَ حُورَانَ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِـــلُ

ثمّ قـــال:

قُعُـــودًا لَهُ غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَـــهُ وَ تَرْكٌ، وَرَهْطُ الأَعْجَمِينَ وَكَابُلُ[51]

وقال أبـــو ذُؤيب الـــهُذليّ(تـــ27هـــ) من (الطّويل):

أَسَاءَلْتَ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تُسَائِلِ عَنِ السَّكَنِ أَمْ عَنْ عَهْدِهِ بِالأَوَائِـــلِ؟

وقال فيهـــا:

فَإِنْ وَصَلَتْ حَبْلَ الصَّفَاءِ فَدُمْ لَهَا وَ إِنْ صَرَمَتْهُ فَانْصَرِمْ عَنْ تَجَاهُـــلِ[52]

وقال صخرُ الغيّ يرثي أخاهُ أبا عَمْرٍو بْنَ عبد الله فَهَشَتْهُ حيّةٌ فمات من (الطّويل):

لَعَمْرُ أَبِي عَمْرٍو لَقَدْ سَاقَهُ المَنَـــا إِلَـــى جَدَثٍ يُوزَي لَهُ بِالأَهَاضِبِ

فَلَمْ يَـــرَاهَا الْفَرْخَانِ بَعْدَ مَسَائِهَا وَ لَمْ يُهْدَ فِي عُشِّهَا مِنْ تَـــجَاوُبِ[53]

وهذا قد أكثرتْ منهُ الشُّعراءُ الفُصَحَاءُ، وأشنعُ منه قولُ ذي الرُّمَّة غيلان العَدويّ المضَريّ(تـــ117هـــ) من (الطّويل):

بَعِيدَاتُ مَهْوَى كُلِّ قُرْطٍ عَقَدْنَهُ لِطَافُ الحَشَا تَحْتَ التُّدِيِّ الْفَوَالِكِ

ثـــمَّ قـــال:

إِذَا غَابَ عَنْهُنَّ الْغُيُورُ وَ أَشْرَقَتْ لَنَا الأَرْضُ فِي الْيَوْمِ الْقَصِيرِ المَبَارَكِ[54]

وهؤلاء الشُّعراءُ قد يُعذرون في مثله هذا، وهذا أبو عُبادةَ البُحتُريّ (تـــ284هـــ)يمدحُ إسحقَ بنَ كنداج عندما تُوِّج وقُلّد السَّفين يقولُ من (الرّجز):

لِلَّهِ عَهْـــدُ سُوَيْقَةٍ مَا أَنْضَـــرَا إِذْ جَاوَرَ الْبَادُونَ فِيهِ الْحُضَّـــــرَا

ثـــمَّ قال:

مَـــــا قُلِّدَ السَّيْفَيْنِ إِلاَّ نَجْلَـــةً فِي الحَرْبِ تُوجِبُ أَنْ يُقَلَّدَ آخَرَا[55]

و قد دخل فيها هو أشنع من هذا حين مدح إسماعيلَ بنَ بلبل قائلا من(الكامل):

لاَ تُلْحِـــقَنَّ إِلَى الإِسَـــاءَةِ أُخْتَهَا شَـــرُّ المَسَاوِئِ أَنْ تُسِيءَ مُعَـــاوِدَا

وَارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى السَّمَاحِ مُفَضِّلاَ إِنَّ الْعُـــلاَ فِي الْقَوْمِ لِلأَعْلَى يَـــدَا

شَرْوَى أَبِي الصَّقْرِ الذِي مَدَّتْ لَهُ شَيْبَانُ فِي الحَسَنَاتِ أَبْعَدَهَا مَـــدَى

وَ يَسُرُّنِي أَنْ لَيْسَ يُكْـــرَمُ شِيمَةً مِنْ مَعْشَرٍ، مَنْ لَيْسَ يُكْرَمُ وَالِدَا[56]

واختلافُ حركةِ الحرفِ بينَ التّأسيس والرّويّ المقيّد عند المعرّي أقبح من اختلاف التّوجيه، وقد جعل هذه الحركة كذلك توجيها قال:" و لم يُفرّقوا بين المقيَّد المجرَّد والمقيَّد المؤسَّس، وهو عندي في المؤسَّس أقبحُ لأنَّهُ يختلفُ الحرف بالحركات بين حرفين لازمين، وإذا كان المقيَّد مجرَّدا لم يكن قبل التّوجيه حرف لازم"[57]

و من المؤسَّس المقيَّد الذي اختلفت فيه الحركة قول الحطيئة (تـــ59هـــ) يمدحُ بغيضاً ويهجُو الزّبرقانَ من (الرّجـــز)

شَاقَتْكَ أَضْغَانٌ لَلَيْـــــ (م) لَى يَوْمَ نَاظِرَةٍ بَوَاكِرْ

ثُـــمّ قال: الْوَاهِبُ المَائَـــةَ الْهِجَـــا (م) نَ مَعًا لَهَا وَبَرٌ مُظَاهِرْ[58]

**الإيطـــــــاءُ:**

"جاء في اللّسان:" وَاطَأَ الشَّاعرُ في الشّعر، وَأَوْطَأَ فيه إذا اتّفقتْ لهُ قافيتان على كلمة واحدة معناهما واحدٌ، فإنِ اتّفقَ اللّفظُ واختلف المعنى فليس بإيطاء، وقيل وطأ في الشّعر

وأوطأ فيه وأوطأه، إذا لم يُخالف بين القافيتين لفظا ولا معنى، فإنْ كان الاتّفاقُ باللّفظ والاختلاف بالمعنى، فليس بإيطاء"[59]

وفي الحديث الشّريف قال صلّى الله عليه وسلّم:" **إِنَّ أَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقاً الْمُوَطَّؤُونَ أَكْنَافاً الذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**"[60].رواهُ الطّبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف.

ومنه واطأ بعضُه بعضا: وافق، لقوله تعالى :"**لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللهُ**" [التوبة:37].

ويبدو أنّ المصطلح العروضيَّ (الإيطاء) أخذَ معناهُ من مفهوم المواطأة، أي الموافقة، قال أبو القاسم الرّقيّ (تـ 45هـ) في تعريف الإيطاء "ذهب الخليل إلى أنّ كلّ كلمة وقعتْ موقع القافية وأُعيدَ لفظُها في قافية بيت آخر ... فهو إيطاء"[61]

وقال أبو العبّاس المبرّد(تـ286هـ) :" الإيطاءُ إعادةُ القافية والمعنَ واحدٌ" [62]

وقال أبو العبّاس ثعلب(تـ291هـ) :" والإيطاءُ تكريرُ القافية والمعنَ واحدٌ".[63]

وقال المعرّي:" الإيطاءُ تكريرُ القَافية في الشِّعر"[64]

و أمّا الخليل فَيُؤْثَرُ عنه رأيان متناقضان يرويهما الأخفشُ: يقولُ بعدَ حديثه عن الإيطاء:" والخليلُ يراهُ إيطاءً إذا اتّفقَ اللّفظُ واختلفَ المعنى"[65]

ثمَّ يأتي بما يُناقضُ هذا الرَّأيَ في صفحة أخرى:

"وزعمُوا أنَّ الخليلَ كان يجعلُ ما كان لفظُه واحدا، واختلف معناهُ إيطاءً وهذا يُنكر، وقد قال هو بخلافه لأنّهُ قد جوّزَ (ذَهَبَ) إذا أُريدَ به الفعلُ مع (ذَهَبٌ) إذا عُني به الاسمُ وهو الذّهَبُ، و(الرّجل) مع (الرّجل)إذا كُنت تعني بأحدهما الرُّجولة والآخر العَلَم"[66].

و يذكرُ أبو الطّيّب اللُّغوي (تـ351هـ) أنّ:" للخليل ثلاثةَ أبيات على قافية واحدةٍ يستوي لفظُها ويختلفُ معناها، وإنّما أرادَ بهذا أن يُبيِّنَ أنّ تكرارَ اللّفظِ في القوافي ليس بضائرٍ إذا لم يكن لمعنىً واحد، وأنّهُ ليس بإيطاء، والأبياتُ من (السَّريع):

يَا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الهَوَى ... إِذْ رَحَلَ الجِيرَانُ عِنْدَ الْغُرُوبْ

أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَمْعَنُوا ... وَ دَمْعُ عَيْنِي كَفَيْضِ الْغُرُوبْ

بَانُوا وَ فِيهِمْ طَفْلَةٌ حُرَّةٌ ... تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الْغُرُوبْ

فالغُروبُ الأوّلُ غروبُ الشّمس، والغُروبُ الثّاني جمع غَرْب وهو الدَّلو العظيمةُ المملوءةُ، والغُروبُ الثّالثُ جمع غرب الوِهادُ المنخفضةُ ".[67]

و حينما استعمل الأخفش كلمةَ (زَعَمُوا) فإنّ ذلك ينبئُ عن شكٍّ مُريبٍ في ذلك الرّأي الذي نُسب إلى الخليل، ثمّ إنّ روايةَ أبي الطّيّب اللُّغويّ مرفوعةٌ في سَنَدها عندَهُ إلى مَنْ كان يلقى الخليل (محمّد بن يحي عن عمرو بن عبد الله أبي حفص العَتَلي عن أبي الفصل بن سليمان بن محمد بن موسى النّوفليّ عن الحرمازيّ عن الخليل) فهذه الرّوايةُ لا تتركُ لنا خيارا

فالإيطاءُ عند الخليل هو إعادةُ استعمال كلمةٍ في القافيتين تتّفقُ مع أُخرى سبقتْها في اللّفظ والمعنى.

وقد اشترط الأخفشُ ومَنْ بعده أنْ تتكرّر الكلمةُ بلفظها ومعناها لكي تُعاب. فإذا تكرَّر المعنى واختلف اللّفظُ فقدت المواطأة، وإذا تكرّر اللّفظ واختلف المعنى لم يكن ذلك عيبا كالأبيات التي ذكرها أبو الطّيّب للخليل من قبل.

و قد خرج عن المواطأة عند الخليل الاسمُ والفعلُ المشتركان في اللّفظ مثل:" ذَهَبٌ تُريد التّبر مع "ذَهَبَ" تريد الذّهاب فلا يجعله إيطاءً لأنّ العوامل لا تقع عليهما" كقول الشّاعر:

هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيه
إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهْ [68]

وخرج العَلَمُ والصِّفة المشتركان كالعبَّاس عَلَمًا لعمِّ النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، والعبّاس صفة للرّجل الشّديد العُبوس.

" وروى عنه الأخفش سعيد بن مسعدة أنّه يُجري "الرّجل" إذا كان اسما علما و"الرّجل" إذا كان من الرُّجولية مُجرى "ذَهَبٌ" من التّبر و "ذَهَبَ" من الذّهاب "فلا يجعله إيطاء، وهذا هو الصحيح"[69]

وإذا اختلفَ المعنى واتّفق اللّفظُ فليس بإيطاء، وإنْ وقعتْ عليهما العواملُ فإيطاءٌ كقول النّابغَة الذُّبْيَانيّ يَرثي النّعمانَ بنَ الحارث من (البسيط):

أَوْ أَضَعُ الْبَيْتَ فِي سَوْدَاءِ مُظْلِمَةٍ تُقَيِّدُ الْعِيرَ، لاَ يَسْرِي بِهَا السَّارِي

ثـــمّ قال:

لاَ يَخْفِضُ الرِّزَّ عَنْ أَرْضٍ أَلَمَّ بِهَا وَلاَ يَضِلُّ عَلَى مِصْبَاحِهِ السَّارِي

ومِمَّا ليس، بإيطاءٍ الجمعُ بين كلمتين إحداهما معرفة ، والأخرى نكرة كقول الشاعر:

يَارَبِّ سَلِّمْ سَدْوهُنَّ اللَّيْلَهْ،
وَلَيْلَةً أُخْرَى، وَكُلَّ لَيْلَـــهْ [70]

وإذا تباعد ما بين البيتين فهو أحسنُ، وإذا لم يكن بينهما شيءٌ فهو قبيح كقول الشّاعرِ تميمِ بنِ أبي مُقبل (تـــ 37هـــ) من (البسيط):

أَوْ كَاهْتِزَازِ رُدَيْنِيّ تَدَاوَلَـــهُ أَيْدِي التُّجَّارِ فَزَادُوا مَتْنَهُ لِينَـــا

وبعد بيتين قـــال:

نَازَعَتْ أَلْبَابُهَا لُبِّي بِمُخْتَزِنٍ مِنَ الأَحَادِيثِ حَتَّى ازْدَدْنَ لِي لِينَا [71]

وإن كان في صفتين فهو أحسنُ كقول الشّاعر من (الرّجز):

لَئِنْ خَرَجْتُ مِنْ دِمَشْقَ صَالِحَا
وَ قَدْ تَجَهَّزْتُ جِهَازًا صَالِـــحَا
لأَجْذِبَـــنَّ النِّسْعَ جَذْبًا صَالِحَا
وَ آتِيـــنَ بِالْعِـــرَاقِ صَالِحَـــا
إِنِّي رَأَيْتُ صَالِحًا لِي صَالِحَـــا[72]

فهذا كلُّ واحد منها في معنى. أمّا الأولى فمعناها: مُعَافَى، وأمّا الثّانية فجَهَازٌ جيّدٌ، وأمّا الثّالثة فجَذْبٌ قويٌّ للنِّسْعِ،وهو حزام الرَّحْل، وأمّا الرّابعة فاسْمٌ للممدوح الذي يقصدُهُ في العراق، وأمّا الخامسة فنَافِعٌ مُفِيدٌ.

وأعلن بعضُ العَروضيين أنّ تكرار قافية المصراع الأوّل في قوافي الأبيات ليس عيبا،كقول امرئ القَيْس (تـــ565م) من (الطّويل):

خَلِيلَيَّ مُرَّا بِي عَلَى أُمِّ جُنْدُبِ ... نُقَـــضِّ لُبَانَاتِ الْفُؤَادِ الْمُعَـــذَّبِ
فَإِنَّكُمَـــا إِنْ تَنْظُرَانِي سَاعَـــةً ... مِنَ الدَّهْرِ تَنْفَعْنِي لَدَى أُمِّ جُنْدُبِ[73]

وأنكرَ جماعةٌ أن يكونَ الإيطاءُ عيباً، و لم يتحرَّجُوا في إباحته لِمَنْ عاصرهم من الشّعراء و لم يُنكرُوهُ عليهم: "أنشدَ أَبُو سَلَمَةَ بنُ عياش أبا حيّة النُّمَيْرِيّ، كلمةً طويلةً جدّا يقولُ فيها من (الطّويل):

طَرِبْتُ وَمَا هَذَا بِحِينِ تَطَرُّبِ ... وَ رَأْسُكَ مُبْيَضُّ الْعِذَارَيْنِ أَشْيَبُ

فقال له النُّميريّ: أرى فيها عيبا. قال : ما هو؟ قال لم أرَكَ أعدتَ قافية بعد قافية. عدّهُ عيبا. أظنُّه عابه به إذ رأى أنّه هرب منه"[74]

أمّا ابنُ سلاّم الجُمَحيّ (تـ231هـ)فقد حظر الإيطاء على الشُّعراء لأنّه يُزري بهم.قال وهو يتحدّثُ عن عيوب الشّعر وذكر الإيطاء:" ولا يجوز لمولّد، إذْ كان عنده عيبا"[75]

و عدّهُ سماجةً إن كان أكثر من قافيتين .وأجازه ابنُ رشيق القيروانيّ (تـ456هـ) للشّعراء المولّدين:

" والإيطاءُ جائزٌ للمولّدين"[76]

وتوسّط عبد الله الطّيّب المجذوب (تـ1424هـ) حين تحدّث عن الإيطاء وعن اصطلاح العلماء على جواز إعادة القافية بعينها بعد سبعة أبيات أو عشرة:" وحظرُ الإيطاء على وجه العموم أمرٌ يتقبّلهُ الذّوقُ، لأنّ الذّوقَ السّليمَ يكرهُ التّكرارَ ما لم يَدْعُ إليه دَاعٍ قويٌّ، إلاّ أنّ الإصرارَ على الحظر في كلّ حالةٍ وكلّ مُناسبة، وبِغَضّ النّظر عن مُقْتَضَيَاتِ الظُّروف التي تدعو إليه خطأٌ عظيمٌ"[77]

كقول الأعشى مَيمون (تـ7هـ) في قصيدة يمدحُ قيسَ بنَ مَعْدِ يَكْرِب (المتقارب):

تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ ... أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِـــمْ

أَبَانَا فَلاَ رِمْتَ مِـــنْ عِنْدِنَـــا ... فَـــإِنَّا بِخَـــيْرٍ إِذَا لَمْ تَـــرِمْ

(أيْ لم تبرحْ)

وَيَـــا أَبَتَا لاَ تَـــزَلْ عِنْدَنَـــا ... فَإِنَّا نَخَـــافَ بِأَنْ تَخْـــتَرِمْ

أَرَانَا إِذَا أَضْـــمَرَتْكَ الْبِـــلاَ (م) ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتَ عَلَيَّ الرَّدَى ... وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلُهُ لَمْ يَرِمْ[78]

(أي :كم من هالك لم يُفارق أهلَهُ).

فالفعلُ المضارعُ (تَرِمْ) و(يَرِمْ) مستعملٌ في قافيتي البيت الثّاني والخامس، ولا يفصِل بين هذين البيتين إلاّ بيتان اثنان، ومع ذلك فهذا الإيطاءُ ليس بمكروه موقعُه في السّمع، بل هو مناسبٌ للمقام، ومُلائمٌ جدّا لما سبقَهُ من تكرار (أَبَانَا) و(يَا أَبَتَا) و(عِنْدَنَا).

---

**الإحـــــالات و الهوامش**

● **أ. دوّاح أحمد الملحقة الجامعيّة بُمغنيةَ – جامعةُ بوبكر بلقايد – تلمسان.**

**البحثُ :مُراجعة وتدقيق أ.د.رضوان النّجّار – قسم اللغة العربية و آدابها – جامعة تلمسان**

[1]: عُبيد بن الأبرص: ديوانه ، ص76 ، 77 و قيل : (عَبيدُ بنُ الأبرص).

[2]: تمامُه: بِمِنىً تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا؛ وهو للبيد بنِ ربيعةَ العامِريِّ – الزَّوزني: شرحُ المعلّقات السَّبع- ص:131.

[3]:ابنُ جنّي: مُختَصَر القوافي ، ص 29

[4]:يَنسبُ أبو بكر بنُ دُريد البيتَ لسالم بنِ وابضة: أبو عليّ القالي: الأمالي 750/1.

[5]: التّنوخيّ: القوافي ، ص67- 68.

[6]:الأخفش: القوافي – ص1.

[7]: أبو الحسن العَروضي: كتاب في علم العروض. – ص 272.

[8]: الأخفش: القوافي، ص1.

[9]: المصدرُ نفسُه والصَّفحةُ عينُها.

[10] : المصدر نقسه ص4

[11]: العجّاج: الدّيوان ص 58 ، 62

[12]: الأخفش القوافي، ص5

[13]: المصدر عينه: ص6

[14]: المصدر نفسه، ص5.

15: محمّد العلميّ: العَروض والقافية – ص303.

16: محمد العلمي: العروض والقافية، ص60.

17: الجاحظ: البيان والتّبيين –139/1

18: التّبريزيّ: كتاب االفي في العَروض والقوافيص125.

[19]: لأبي النّجم العجليّ الرّاجر والبيت بتمامه: لَمَّا رَأَيْتُ الدَّهْرَ جَمًّا خَبَلُهْ * أَخْطَلَ وَالدَّهْرُ كَثِيرٌ خَطَلُهْ. ابنُ منظور: اللّسان: (خَطَلَ) – 105/5.

[20] القوافي: الأخفش، ص35.

[21] البيت لرؤبة الراجز، تمامه: مشتبه الأعلام لـــمّاع الخَفَقَنْ. الديوان– ص 104.

[22]: القوافي: الأخفش، ص36.

[23]: ابن هشام: مُغني اللّبيب – 395/2

[24]: ابن هشام: أوضح المسالك – 48/1.

[25]: الأخفش : القوافي ، ص36..

[26]: المصدر عينه: القوافي ص37.

[27]: الأعشى: الديوان، الصبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الكبير– ص 56.

[28]: الأخفش :القوافي ص38

[29]: قيس بن الملوّح :الدّيوان ص 99

[30]: ابنُ قُتيبة: الشُعر والشّعراء852/2، 853.

[31]: نقلاعن:موسى الأحمدي المليانى: المتوسّط الكافي – ص420.

[32]: ابن رشيق: العمدة – 147/1.

[33]: النّابغة الشّيبانيّ: ديوانه – ص70

[34]: المعرّي: اللّزوميّات–1 /35.

[35]: التّنوخيّ: كتاب القوافي - ص130.

[36]: طرفة بن العبد:الدّيوان- ص50.

[37]: الأخفش: القوافـــي، ص38.

[38]: من شواهد سبويه: الكتاب

[39]: المعرّي: الفصول والغايات - 34/1.

[40]: التّبريزيّ: الكافي في العروض والقوافي ص130.

[41]: امرؤ القيس: الدّيوان- ص 109-111

[42]: طرفة بن العبد: الدّيـــوان ص91.

[43]: المرزباني: الموشّح ، ص24.

[44]: محمّد العلميّ: العَروض والقافية، ص306.

[45] المعري: رسائل أبي العلاء – ص 121.

[46]:أبو الأسود الدؤَلي: الدّيـــوان – ص 106

[47]:الأخفش: القوافي، ص20- 21.

[48]: المصدر نفسه، ص21.

[49]:محمد العلمي: العروض والقافية ص307.

[50]: النّابغة الذّبياني: الدّيوان ص81

[51]: المصدر نفسه: ص91.

[52]: أبو ذؤيب الهذلي: ديوان الهذليين 139/1-141

[53]صخر الغيّ : ديوان الهذليين 51/2- 57.

[54]: ذو الرّمّة: الدّيوان- ص 318

[55]:البحتري: الديوان- ص1425، 427.

[56]: المصدر نفسه: 276/2.

[57]: المعريّ: اللزوميات، 39/1

[58]: الحطيئة: الديوان- ص31، 36.

[59]: ابن منظور: اللسان (وطأ) 236/15.

[60]: إحياء علوم الدين – 2 / 219

[61]: الرّقيّ: كتاب القوافي- ص92

[62]: المبرّد: القوافي وما اشتقت ألقابها منه – ص12.

[63]: ثعلب: قواعد الشعر- ص66.

[64]: المعرّي: رسالة الغفران- ص35

[65]: الأخفش: القوافي ص58.

[66]:المصدر عينه: ص63

[67]: أبو الطّيّب اللّغوي: مراتب النّحويّين- ص48، 49.

[68]: عليّ بن أبي طالب: الدّيوان- ص 205.

[69]: التّبريزيّ الكافي، ص128.

[70]: ابن منظور: اللسان (سدا) والبيت بلا نسبة 157/7.

[71]: ابن مُقبل: الدّيوان- ص328، 329.

[72]:المعرّي: رسالة الصّاهل والشّاحج، ص527.

[73]: امرؤ القيس: الدّيوان – ص64.

[74]:ابن سلاّم الجُمحيّ: طبقات فحول الشّعراء- 73/1

[75]: المصدر عينه – ص72/1

[76]: ابنُ رشيق: العُمدة: 152/1.

[77]: المجذوب: المرشد 32/1.

[78]: الأعشى: الدّيوان- ص200.

## مَوَارِدُ الْبَحْث وَمَصَـــادِرُهُ


● القُرآنُ الكريمُ

●● الحديثُ النَّبويُّ الشَّريفُ

1. الأخفشُ الأوسطُ(سعيدُ بنُ مسعدةَ): القوافي- تح: عزّة حسن- مطبوعات مديريّة إحياء التّراث القديم. دمشق- ط 1390هـ/1970م.
2. الأعشى(ميمونُ بنُ قيسٍ): الدّيوان- دار بيروت للطّباعة- بيروت- ط 1406هـ /1986م.
3. الأعشى(ميمونُ بنُ قيسٍ): الدّيوان، الصّبح المنير في شعر أبي بصير ميمون بن قيس الكبير- طبعة فيينة 1927م .
4. امرؤُ القيس(بن حجر الكندي):الدّيوانُ – دار صادر – بيروت – (دت)
5. البُحتريّ(أبو عُبادة): الدّيوان، شرح كرم البستاني – دار بيروت- ط1408هـ/ 1987م.
6. التّبريزيّ(الخطيب): كتاب الكافي في العَروض والقوافي- تح :محمّد أحمد قاسم- المكتبة العصريّة – بيروت ط1- 1423هـ/ 2003م.
7. التّنوخيّ(القاضي): القوافي -تح: عوني عبد الرّؤوف- مكتبة الخانجي مصر- ط2- 1978م.
8. ثعلب(أبو العبّاس): قواعد الشّعر- تح: د. رمضان عبد التّـــوّاب مكتبة الخانجي- القاهرة- ط 1995م.

9. الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر): البيان والتّبيين تح: عبد السّلام محمّد هرون- دار الفكر- بيروت - ط 1367هـ - 1948م .
10. الجُمحيّ (ابنُ سلاّم): طبقات فحول الشّعراء- تح: محمود محمّد شاكر- دار المدنيّ بجُدّة (دت).
11. ابنُ جنّي(أبو الفتح عثمان): مُختَصَر القوافي- تح: سيّد أحمد عليّ محمّد – مكتبة الزّهراء- القاهرة. ط1995م.
12. الحُطيئة(جرولُ بنُ أوْس): الدّيوان: شرح أبي سعيد الحسن السّكّريّ- دار صادر- بيروت (دت).
13. الدُّوَلي (أبو الأَسْوَد): الدّيوان – صنعة أبي سعيد الحسن السّكّري – تح:محمد حسن آل ياسين – دار ومكتبة الهلال – ط2 -1418هـ/1998م.
14. ذُو الرّمّة(غيلان بن عقبة): الدّيوان- شرح: عمر فاروق الطّبّاع- دار الأرقم- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م.
15. ابنُ رشيق(القيرواني):العمدةُ في محاسن الشعر وآدابه ونقده – تح :عبد الحميد هنداوي – المكتبة العصريةُ – بيروت – ط2004م.
16. الرّقي(أبو القاسم):كتاب القوافي – تح :أحمد محمد عبد الدايم – دار الثقافة العربية – 1410هـ/1990م.
17. رؤبة الرّاجز:الدّيوان – تح :وليم بن الورد – دار الآفاق الجديدة – بيروت – ط2 – 1980م.
18. الزّوزني(الحسن بن أحمد): شرحُ المعلّقات السّبع- تح: محمّد الفاضليّ- المكتبة العصريّة – بيروت – ط1- 1418هـ-/1998م.
19. سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب - تح: عبد السّلام محمّد هرون- دار الجيل – بيروت- ط1 -1358هـ/1966.

20.صخرُ الغـــيّ : ديوانُ الهذَليّـــين – دار الكتب المصرية – القاهرةُ - ط1995م.
21.طرفةُ بنُ العبد:الدّيوان- دار بيروت- بيروت - ط1402هـــ/ 1982م.
22.أبو الطّيّب اللّغوي: مراتبُ النّحويّـــن- تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم- المكتبة العصريّة- بيروت- ط1- 1423هـــ/2002.
23.عُبيد بن الأبرص: ديوانه- طبع مصطفى البابي الحلي- مصر- ط1377هـــ/ 1957م.
24.العجّاج: الدّيوان (الجزءُ الثّاني من مجموع أشعار العرب) طبعة برلين – 1902م.
25.العَروضي (أبو الحسن): كتاب في علم العَروض. تح: جعفر ماجد – دار الغرب الإسلاميّ – ط1- 1995.
26.العلميّ محمّد: العَروض والقافية- دار الثّقافة- الدّار البيضاء- المغرب ط1- 1404هـــ / 1983.
27.عليّ بن أبي طالب: الدّيوان: جمع وطبع نعيم زرزور- دار الكتب بيروت - (دت)(دط).
28. الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين – تح:محمد تامر – دار الآفاق العربية – القاهرة- ط2004م.
29.القالي(أبو علي): الأمالي تح: على محمّد زينو- مؤسّسة الرّسالة- بيروت، ط1- 1429هـــ /2008.
30.ابنُ قُتيبة(أبو محمد عبد الله بن مسلم): الشّعر والشّعراء- تح أحمد محمّد شاكر- دار الحديث- القاهرة- ط1423هـــ/ 2003م.
31.قيس بن الملوّح :الدّيوان – تح :عبد السّتّار أحمد فراج – دار مصر للطّباعة (د.ت) .
32.المبرّد(أبو العبّاس): القوافي وما اشتقت ألقابها منه -: تح: د. رمضان عبد التّـــوّاب، مطبعة جامعة عين شمس – مصر- ط 1972م.
33.المحذوب(عبد الله الطّيّب): المرشدُ إلى فهم أشعار العرب وصناعتها – مطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر- ط1374هـــ/1955م.

34.المرزُباني(ابنُ عِمران):الموشّحُ في مآخذ العلماء على الشُّعراء- تح:حسين شمس الدّين دار الكتب العلميّة- بيروت-ط1415هـ/1995م.

35.المعرّي(أبو العلاء): رسائل أبي العلاء – شرح : شاهين أفندي عطية – دار القاموس الحديث – بيروت (د.ت).

36.المعرّي(أبو العلاء): رسالة الصّاهل والشّاحج – تح:عائشة عبد الرّحمن (بنت الشاطئ)- دار المعارف – القاهرة – ط1975م.

37.المعرّي(أبو العلاء): رسالة الغفران، تح: د. عائشة عبد الرّحمن (بنت الشاطئ) – دار المعارف – القاهرة –ط1404هـ/ 1984م.

38.المعرّي(أبو العلاء): الفصول والغايات- تح :محمود حسن زناتي- القاهرة- ط1938 م.

39.المعرّي(أبوالعلاء): اللّزوميّات- تحقيق: عمر فاروق الطّبّاع- دار الأرقم- بيروت- (د.ت.).

40.ابن مُقبل: الدّيوان- تح :عزّة حسن- مطبعة التّرقّي- دمشق- ط1- 1381هـ/ 1962م.

41.المليباني(موسى بن محمّد الأحمدي): المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي – دار العلم للملايين – بيروت- ط1969م.

42.ابن منظور(أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم): لسان العرب- دار صادر – بيروت – ط3- 2004م .

43.النّابغة الذّبياني: الدّيوان ، تح: كرم البستاني- دار بيروت، ط1406هـ/ 1986م .

44.النّابغة الشّيبانيّ: ديوانه – شرح قدرى مايو- دار الكتاب العربيّ- بيروت –ط 1415هـ/ 1995م .

45.ابنُ هشام(الأنصاري): أوضحُ المسالك، تح:محمود مصطفى حلاوي- دار إحياء التّراث العربيّ- ط1- 1418هـ/ 1998م.

46.ابنُ هشام(الأنصاري): مُغني اللّبيب، تح: محمّد مُحي الدّين- المكتبة العصرية – بيروت – ط1416هـ/1995م .

47.الهُذَلِيّ(أبو ذُؤيب): ديوان الهُذليين – دار الكتب المصرية – القاهرة – ط1995م .

48.